قراءة في ومضة طوارئ لرحيمة بلقاس

د. جمال الجزيري

جامعة السويس، مصر

تبرز مشكلة استعمال صيغة التعريف في الومضة القصصية عندما يكون النص مباشرا ويحيل إلى عالَم ما خارج النص، إلى عالمنا الواقعي المعاش إحالة مباشرة دون أن يقوم الكاتب بتخليص النص من إشارته المباشرة التقريرية إلى هذا العالم لدرجة أن من يقرأ النص ولا يعرف الحدث المشار إليه خارجه ربما يجد النص عبثيا بلا معنى ويوحي بأن كاتبه لا يعرف كيف يكتب نصا قصصيا. ففي نص "طوارئ" لرحيمة بلقاس، يقول الراوي أو الراوية: **"انعقدت القمةُ لفكِ الحصار، حاصرهم النومُ، فأكملوا السباتَ"**، ونُشر هذا النص على مجموعة سنا الومضة القصصية بتاريخ 1 أغسطس 2014، وأجدني مضطرا هنا لذكر تاريخ نشر النص لأنه مرتبط بفترة العدوان الإسرائيلي على غزة في وقت كتابة الومضة ونشرها. فنص "طوارئ" نص عبثي ليس له معنى سردي إلا بالإحالة إلى حدث خارجي خاص بالقمة العربية ساعة كتابة النص. أي قمة؟ يمكنك أن تقول: فك الحصار. أي حصار؟ القمة معرّفة بلا داعٍ والحصار غير

معرّف ولا نعرف طبيعته، الأمر الذي يدخل الومضة في إطار الكلام العام بعيدا عن أي سياق قصصي محدد المعالم ومعلومة أطرافه. وعندما ننتقل إلى الجملتين الثانية والأخيرة من الومضة، نجد أنهما تكرران نفس المعنى بشكل أو بآخر وأظن أن الكاتبة لم تضع الجملة الأخيرة إلا لأن سنا الومضة القصصية تشترط 8 كلمات كحد أدنى لحجم نص الومضة، الأمر الذي يُبعد النص عن التكثيف السردي الذي تستلزمه الومضة. كما أن كلمة السبات كلمة قديمة تكاد تكون مهجورة في لغتنا العربية المعاصرة، وهذه مشكلة لا يعيها الكثيرون من الكتاب الذين يستعملون ألفاظا اندثرت أو تكاد ومن هنا لا يدركون طبيعة اللغة الأدبية التي ينبغي أن تكون مواكبة للاستعمال الجاري على الألسنة أو على الأقلام في عصر معين، فعصرية اللغة جزء من حيوية النص وارتباطه بحياة مجتمع مستعملي اللغة في فترة زمنية محددة. وما علاقة النوم والسبات بالنص أو بالأحرى بالمقدمة القصصية؟ أظن أنها علاقة عبثية. كما أن استعمال ضمير الجمع في سرد النص يدخلنا في إشكالية أخرى. فالشخصيات التي يتم التعبير عنها ككتلة واحدة من خلال ضمير الجمع الغائب ليست لها ملامح بشرية، فالنوم سمة مشتركة بين جميع الكائنات الحية. وحتى إذا نظرنا إليهم كشخصية واحدة من لحم ودم، ستكون شخصية لا حول لها ولا قوة لأنها تتعرض

لحصار النوم لها. كما أن الفعل "أكملوا" لا يتناسب مع حصار النوم لهم، فالفعل الأدق هنا هو "استسلموا" ليتماشى مع الفعل "حاصرهم" وكان من الأجدى أن يتم استعمل ضمير يعود على النوم هنا بدلا من كلمة "السبات": "حاصرهم النوم فاستسلموا له". ومن الواضح هنا أن أدق توصيف للمنظور المستعمل هو المنظور الخارجي الذي ينقل لنا مهاجمة النوم لهذه الشخصيات واستسلامهم له. ونأتي هنا إلى علاقة العنوان بالنص. لا توجد أي "طوارئ" فيما يحدث في الومضة ولا يوجد حدث قصصي أصلا: أشخاص عزموا على أداء مهمة، فسيطر عليهم النوم"، كأن أجلس للكتابة الآن وأشعر بالنوم فأنام، ما الفن في ذلك. تعاني هذه الومضة من عدة مشكلات تخرجها من نطاق الفن السردي أساسا: الحدث غير محدد ويشير إشارة مباشرة إلى حدث آني – ساعة كتابة النص – خارج النص؛ الشخصيات جماعية وليست لها ملامح متفردة أيضا؛ الضمير المسرودة به الومضة ضمير يُخرج الومضة من نطاق التخصيص والتجسيد وعرض الحدث إلى نطاق التعليق والفكرة المباشرة؛ اللغة تميل إلى التكرار واستعمال ألفاظ مهجورة. نص الومضة بطبيعته نص قصير ولا يحتمل أي إساءة استعمال حتى لو كان ذلك يتعلق بعلامة ترقيم.

مراجع

رحيمة بلقاس. "ومضتان". ومضات أغسطس 2014. الكتاب الرابع في سلسلة كتاب الومضات الشهرية الالكتروني. سلسلة شهرية تصدر عن مجموعة سنا الومضة القصصية على الفيسبوك. تحرير وتقديم: جمال الجزيري. الجيزة: حمارتك العرجا للنشر الالكتروني، 2014. ص 58.